تفسير ابن كثير

يقول تعالى آمرا رسوله صلى ا عليه وسلّم بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس { لا مبدل لكلماته } أي لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل وقوله : { ولن تجد من دونه ملتحدا } عن مجاهد ملتحدا قال : ملجأ وعن قتادة : وليا ولا مولى قال ابن جرير : يقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من ا كما قال تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وا يعصمك من الناس } وقال : { إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد } أي سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة .

وقوله : { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه } أي اجلس مع الذين يذكرون ا ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد ا سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يقال : إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي صلى ا عليه وسلّم أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه ا عن ذلك فقال : { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي } الاية وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي } الاية وقال مسلم في صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن عبد ا الأسدي عن إسرائيل عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد هو ابن أبي وقاص قال : [كنا مع النبي صلى ا عليه وسلّم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى ا عليه وسلّم : اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول ا صلى ا عليه وسلّم ما يشاء ا أن يقع فحدث نفسه فأنزل ا D { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه }] انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي التياح قال : سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي أمامة قال : خرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم على قاص يقص فأمسك فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [قص فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب] وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا هاشم : حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت كردوس بن قيس وكان قاص العامة بالكوفة يقول : أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه سمع النبي صلى ا عليه وسلّم يقول : [لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب] قال شعبة : فقلت أي مجلس ؟ قال : كان قاصا .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا محمد حدثنا يزيد بن أبان عن أنس قال : [قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : لأن أجالس قوما يذكرون ا من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر ا من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا] فحسبنا دياتهم ونحن في مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين ألفا وههنا من يقول أربعة من ولد إسماعيل وا ما قال إلا ثمانية دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن إسحاق الأهوازي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقمر عن الأغر أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم مر برجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبي صلى ا عليه وسلّم سكت فقال النبي صلى ا عليه وسلّم : [هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم] هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقمر عن الأغر مرسلا وحدثنا يحيى بن المعلى عن المنصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقمر عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : جاء رسول ا صلى ا عليه وسلّم ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون المرئي حدثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك Bه عن رسول ا A قال : [ما من قوم اجتمعوا يذكرون ا لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء : أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات] تفرد به أحمد أسامة عن وهب ابن حدثنا صالح بن أحمد حدثنا الحسن بن إسماعيل حدثنا : الطبراني وقال C بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول ا A وهو في بعض أبياته { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي } الاية فخرج يتلمسهم فوجد قوما يذكرون ا تعالى منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال : [الحمد ا الذي جعل في أمتي من أمرني ا أن أصبر نفسي معهم] عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر ابن أبي داود في الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة Bهم .

وقوله { ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا } قال ابن عباس : ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة { ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا } أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا { وكان أمره فرطا } أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع ولا تكن مطيعا ولا محبا لطريقته ولا تغبطه بما هو فيه كما قال : { ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى }